

مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرْيُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلُّانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجُلًا وَنِسَاءً فَلِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

سورة المائدة

مدينة إلا آية ٣ فنزلت بعرفات في حجة الوداع : وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حُلِلْتُمْ

النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه سماه سراجا (يستفتونك) أى يطلبون منك الفتيا ، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طالبا للكلالة ، ويفتيكم أيضا طلب لها ، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثانى على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه ، والأول أظهر ، وقد تقدم معنى الكلالة فى أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا : الشقائق ، والذين للأب إذاعدم الشقائق ، وقد تقدم حكم الإخوة للأم فى قوله وإن كان رجلا يورث كلالة الآية (إن امرؤ هلك) ارتفع بفعل مضمر عند البصريين ، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث (أن تضلوا) مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلوا : -

سورة المائدة

(أوفوا بالعقود) قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك ، وقيل ماعقده مع ربه من الطاعات : كالحج والصيام وشبه ذلك ، وقيل ماعقده الله عليهم من التحليل والتحریم فى دينه ذكر مجمل ثم فصل بعد ذلك فى قوله : أحلت لكم وما بعده (بهيمة الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم ، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه : لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها ، قال الزمخشري : هى الإضافة التى بمعنى من كحاتم من حديد أى البهيمة من الأنعام ، وقيل هى الوحش : كالظباء ، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ماعدا الإنسان (إلا ما يتلى عليكم) يريد الميتة وأخواتها (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد ، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج ، فالاستثناء بإلا من البهائم المحللة ، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين (لا تحلوا شعائر الله) قيل هى مناسك الحج ، كان المشركون يحجون ويعتصرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم ، فقيل لهم : لا تحلوا شعائر الله : أى لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل هى الحرم ، وإحلاله الصيد فيه ، وقيل هى ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك ، وإحلاله فعله (ولا الشهر الحرام) قيل هو جنس الأشهر الحرام الأربعة ، وهى رجب وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل أشهر الحج ، وهى : شوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها (ولا الهدى) هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله فهى الله أن يستحل بأن يغاز عليه

فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ
الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا

أو يصد عن البيت (ولا القلائد) قيل هي التي تعلق في أعناق الهدى ، فهي عن التعرض لها ، وقيل أراد ذوات القلائد
من الهدى وهي البدن وجددها بالذكور بعد دخولها في الهدى اهتماماً بها وتأكيذاً لأمرها (ولا آمين البيت الحرام) أي
قاصدين إلى البيت للحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدمهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب
الحكم البكري واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر ،
وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء : عام في المسلمين والمشركون ؛ ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله : اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم ، وبقوله فلا يقرب المسجد الحرام ، وبقوله : ما كان للبشركين أن يعمرُوا مساجد الله
(يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً) الفضل : الربح في التجارة ، والرضوان : الرحمة في الدنيا والآخرة (وإذا
حلتكم فاصطادوا) أي إذا حللتكم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ، فالأمر هنا لإباحة بإجماع (ولا يجرمنكم
شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا) معنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم ، يقال جرم فلان فلانا
هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه ، والشَنَاٰن : هو البغض والحقد ، ويقال بفتح النون وإسكانها ، وأن
صدوكم : مفعول من أجله ، وأن تعتدوا : مفعول ثانٍ ليجرمنكم ، ومعنى الآية : لا تحملنكم عداوة قوم على أن
تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام ، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا
أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فنهاهم الله عن قتلهم ، لأن الله علم
أنهم يؤمنون (وتعاونوا على البر والتقوى) وصية عامة ، والفرق بين البر والتقوى أن البر عام في فعل الواجبات
والمندوبات وترك المحرمات ، وفي كل ما يقرب إلى الله . والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات
فالبر أعظم من التقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله
أو بينه وبين الناس ، والعدوان على الناس (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تقدم الكلام عليها في البقرة
(والمنخنقة) هي التي تخنق بحبل وشبهه (والموقوذة) هي المضروبة بعصاً وحجر وشبهه ، والمتردية هي التي تسقط
من جبل أو شبه ذلك ، والنطيحة هي التي نطحت بأهيممة أخرى (وما أكل السبع) أي أكل بعضه ، والسبع كل حيوان
مفترس : كالذئب والأسد والفرو الثعلب والعقاب والنسر (إلا ما ذكيتم) قيل إنه استثناء منقطع ، وذلك إذا أريد
بالمنخنقة وأخواتها : مامات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حرمت عليكم هذه
الأشياء ، لكن ما ذكيتم من غيرها ، فهو حلال ، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب ، فهي
ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها ، وقيل إنه استثناء متصل ، وذلك إن أريد بالمنخنقة
وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته ، والمعنى على هذا : إلى ما أدركت ذكاته من هذه الأشياء فهو
حلال ، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلتها أم لا ، وأما إذا لم تشرف على الموت
من هذه الأسباب ، فذكاتها جائزة باتفاق (وما ذبح على النصب) عطف على المحرمات المذكورة ، والنصب

ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَتَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة والنصب غير
مصورة وهى الأنصاب ، والمفرد نصاب ، وقد قيل إن النصب بضمين مفرد ، وجمعه أنصاب (وأن تستقسموا
بالأزلام) عطف على المحرمات أيضا ، والاستقسام . هو طلب ما قسم له ، والأزلام هى السهام . واحدها زلم يضم
الزاي وفتحها ، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها افعل ، وعلى الآخر لا تفعل ، والثالث مهمل ، فإذا أراد
الإنسان أن يعمل أمرا جعلها فى خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ، فإن خرج له الذى فيه افعل : فعل
ما أراد ، وإن خرج له الذى فيه لا تفعل تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب (ذلكم فسق) الإشارة إلى تناول
المحرمات المذكورة كلها ، أو إلى الاستقسام بالأزلام ، وإنما حرمه الله وجعله فسقا : لأنه دخول فى علم الغيب
الذى انفرد الله به فهو كالسكهاة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب (اليوم يتس الذين كفروا من دينكم
أى يتسوا أن يغلبوه ويطلبوه ، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة فى حجة الوداع ، فذلك هو اليوم المذكور
لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين ، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه (اليوم أكملت لكم دينكم)
هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام (فمن اضطر) راجع
إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار (فى مخصة) فى جماعة (غير متجانف لإثم) هذا
بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم فى البقرة (فإن الله غفور رحيم) قام مقام فلا جناح عليه ، وتضمن زيادة
الوعد (يسألونك ماذا أحل لهم) سببها أن المسلمين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم من المأكول
وقيل لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، سأله ماذا يحل لنا من الكلاب فترلت مينة
للصيد بالكلاب (قل أحل لكم الطيبات) هى عند مالك الحلال ، وذلك مما لم يرد تحريمه فى كتاب ولا سنة
وعند الشافعى الحلال المستلد ، فحرم كل مستقدر كالخنافس وشبهها لأنها من الحباث (وما علمتم من الجوارح)
عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره وصيد ما علمتم ، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا
أحسن ، لأنه لا خلاف فيه ، والجوارح هى الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب
لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولا خلاف فى جواز الصيد بالكلاب ، واختلف فىمن سواها ومذهب
الجمهور الجواز للأحاديث الواردة فى البازات وغيرها ، ومنع بعض ذلك لقوله مكليين ، فإنه مشتق من
الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عدى بن حاتم ، كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما يحل من الصيد (مكليين) أى معلمين للكلاب الاصطياد ، وقيل معناه أصحاب كلاب
وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل فى علمتم ويقتضى قوله علمتم ومكليين أنه لا يجوز الصيد
الابجارج معلم ، لقوله وما علمتم وقوله مكليين على القول الأول لتأكيد ذلك بقوله : تعلمونهن ، وحذف التعليم

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مَخْذِيٍّ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ

عند ابن القاسم أن يعلم الجراح الإسلام والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يحجب إذا دعى (تعلونهم مما علمكم الله) أى تعلمونهم من الحيلة فى الاصطيد وتأتى تحصيل الصيد ، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان ، فمن للتبعيض ، ويحتمل أن تكون لا ابتداء الغاية والجملة فى موضع الحال أو استئناف (فكلوا مما أمسكن عليكم) الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن ، سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه ، وبذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه ، وقد أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد فى حديث آخر إذا أكل فكل ، وهو حجة لمالك (واذكروا اسم الله عليه) هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ويجرى الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس فى حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنها واجبة حملا للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمدا ونسيانا ، لم تؤكل عندهم وقال الشافعى أنها مستحبة ، حملا للأمر على الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وجعل بعضهم الضمير فى عليه عائداً على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت فهى عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) معنى حل : حلال ، والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، واختلف فى نصارى بنى تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلماً ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية ، هل يحل لنا طعامهم أم لا ، ولفظ الآية يقتضى الجواز لأنهم من أهل الكتاب ، واختلف فى المجوس والصابئين ، هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام ، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مرادة فى الآية ، فأجازوا كل ذبائح اليهود والنصارى ، واختلفوا فيما هو محرم عليهم فى دينهم ، هل يحل لنا أم لا على ثلاثة أقوال : الجواز ، والمنع ، والكراهة ، وهذا الاختلاف مبنى على هل هو من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز ، وإن أريد به ما يحل لهم منع ، والكراهة توسط بين القولين القسم الثانى ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق ، والثالث ما فيه محاولة : كالخبز ، وتقصير الزيت ، وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه ، فمنعه ابن عباس لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة ، ولأنه يمكن أن يكون نجسا ، وأجازه الجمهور ، لأنه رآه داخلا فى طعامهم ، هذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا ، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة ، فلا يجوز أصلا وقد صنف الطرطوشى فى تحريم جبن النصارى ، وقال إنه ينجس البائع والمشتري والآلة ، لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة ، ويجرى مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه فى ظروف الميتة (وطعامكم حل لهم) هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم (والمحصنات) عطف على الطعام المحلل ، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان : الإسلام ، والنزوح والعفة ، والحرية . فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين أوتوا الكتاب ، وأما النزوح فلا يصح أيضا لأن ذات الزوج لا تحل لغيره ، ويحتمل هنا العفة والحرية ، فمن حمله

فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ هَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة ، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك ، ولا تعارض بين هذه الآية . وبين قوله «ولا تنكحوا المشركات» لأن هذه في الكتابيات ، والآخرى في المشركات ، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك ، وقيل بالعكس ، وقد تقدم معنى «فأتوهن أجورهن» ومعنى الأخدان (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية : نزلت في غزوة المريسيع ، حين انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت الرخصة في التيمم ، فقال أسيد بن حضير ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر ، ولذلك سميت الآية آية التيمم ، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ، ثابتا بالسنة ، وقوله إذا قمتم إلى الصلاة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤا ويقتضى ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة ، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب ، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال : الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد ، والثاني أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الذنب ، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث ، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) ذكر في هذه الآية أربعة أعضاء اثنين محدودين ، وهما اليدين والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدين إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما ، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين ، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا ، وذلك مبنى على معنى إلى ، فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أو وجب غسلهما ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما ؛ واختلف في الكعبين ، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظامان الناتان في طرف الساق ، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق ، لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين ، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه . وحده طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية ، وحده عرضا من الأذن إلى الأذن وقيل من العذار إلى العذار ، وأما الرأس ، فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه ، ومذهب كثير من العلماء جواز الإقتصار على بعضه ، لما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح على ناصيته ، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة (وامسحوا برؤوسكم) اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبويض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس ، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافي إنها باه الاستعانة التي تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم ، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا مامسح لا ممسوح ، وذلك خلاف المقصود ، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف ، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي أنها باه الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه ، وتارة بحرف الجر : كقوله : فامسحوا بوجوهكم ، وكقوله «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» (وأرجلكم إلى الكعبين) قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على الوجوه والأيدي فيقتضى ذلك وجوب غسل الرجلين ، وقرئ بالخفض

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا
نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَاقِرُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَبْسُطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ
نَقِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا

فعله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤسكم ، فأجاز مسح الرجلين ، روى ذلك عن ابن عباس ، وقال الجمهور
لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتناولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على
العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخفين ، والثالث أن ذلك منسوخ بالسنة . والفرق بين الغسل والمسح
أن المسح إمرا ليدن بالبلال الذي يبقى من الماء ، والغسل عندما لك إمرا ليد بالماء ، وعند الشافعي إمرا
الماء ، وإن لم يبدل باليد (وإن كنتم مرضى أو على سفر) تقدم الكلام على نظيرتها في النساء (ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج) أي من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين الله بيسر ، وباقي الآية
تفضل من الله على عباده ورحمة وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها (وميثاقه الذي واثقكم به)
هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا (كونوا قوامين) تقدم
الكلام على نظيرتها في النساء (ولا يجرمنكم) أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم
أيديهم) في سببها أربعة أقوال : الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بني النضير من اليهود ، فهم وأن يصبوا عابه
صخرة يقلبونها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوى هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في
غدر اليهود ، والثاني أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
وجده في سفر وهو وحده وقال له من يمنعك مني قال الله فأغمد السيف وجلس واسمه غوث بن الحارث
الغطفاني ، والثالث أنها فيهم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف ، والرابع أنها على
الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين (اثني عشر نقيبا) النقيب هو كبير القوم القائم بأمرهم (إني معكم)

حَظًّا مَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَسْأَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَامَهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ *
يَسْأَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُوا أَمْرًا نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَقُومِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

أى بنصرى ، والخطاب لبني إسرائيل ، وقيل للنقباء (بحرفون الكلم) اختلف هل أريد تحريف الالفاظ أو المعانى (ولانزال تطالع على خائنة منهم) أى على خيانة فهو مصدر كالعاقبة ، وقيل على طائفة خائنة ، وهو إخبار بأمر مستقبل (فاعف عنهم) منسوخ بالسيف والجزية (ومن الذين قالوا إنا نصارى) أى ادعوا أنهم أنصار الله ، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به ، وتعلق من الذين بأخذنا ميثاقهم والضمير عائد على النصارى (فأغرينا) أى أثبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من الإغراء (بالأهل الكتاب) فى الموضوعين يعمر اليهود والنصارى وقيل لأنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فلم ينهم كانوا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفى الآية دلالة على صحة نبوته لأنه بين لهم ما أخفوه مما فى كتبهم ، وهى أمى لم يقرأ كتبهم (ويعفو عن كثير) أى يتركه ولا يفضحكم (فيه نور وكتاب مبين) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل فمن يملك من الله شيئا) الآية: رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى ، وهم فرقة من النصارى (يخلق ما يشاء) إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد (وقالت اليهود والنصارى) أى قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة ، وقال الزنجشبرى المعنى : نحن أشياع أبناء الله عندهم ، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك (فلم يعذبكم) رد عليهم ، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات ، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب

الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أُدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمُ وَغُلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

حبيبه ، ففي ذلك بشاره لمن أحبه الله (وجعلكم ملوكا) قيل جعل منكم ملوكا أى أمراء ، وقيل الملك من له مسكن وامرأة وخادم (مالم يؤت أحداً من العالمين) قيل يعنى المن والسلوى والغنام وغير ذلك من الآيات ، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم ، وقيل المراد كثرة الأنبياء ، فعلى هذا يسكون عاما ، لأن الأنبياء فى بنى إسرائيل أكثر منهم فى سائر الأمم (الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس ، وقيل الطور ، وقيل دمشق (التى كتب الله لكم) أى قضى أن تكون لكم (ولا تترددوا على أدباركم) يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذى جاموا منه فإنه روى أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر (قوما جبارين) هم العمالة (قال رجلان) هما يوشع وكالب (يخافون) أى يخافون الله ، وقيل يخافون الجبارين ، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت اصدق إيمانهما (ادخلوا عليهم الباب) أى باب المدينة (فاذهب أنت وربك) إفراط فى العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضى الكفر والاستهانة بالله ورسوله ، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنانقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون (لا أملك إلا نفسي وأخي) قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بنى إسرائيل ويبدل جهده فى طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخى عطف على نفسه لأن أخاه هارون كان يطيعه ، وقيل عطف على الضمير فى لا أملك : أى لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخى إلا نفسه ، وقيل مبتدأ ، وخبره محذوف أى أخى لا يملك إلا نفسه (فافرق بيننا) أى فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة ، وقيل فصل بيننا وبينهم بحكم (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) الضمير فى قال لله تعالى ، وحرّم الله على جميع بنى إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركمهم فى هذه المدة يتيهون فى الأرض أى فى أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال . إنا لن ندخلها . ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هرون فى التيه ومات موسى بعده فى التيه أيضا . وقيل إن موسى وهارون لم يسكونا فى التيه ، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، وخرج يوشع بنى إسرائيل بعد الأربعين سنة ، وقاتل الجبارين ، وفتح المدينة ، والعامل فى أربعين : محرمة على الأصح ، فيجب وصله معه وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم ، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه يبان لمدة التحريم والتيه (يتيهون) أى يتحIRON ، وروى

فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوِيلَتِي آعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ۝ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ

أنهم كانوا يسIRON الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه (فلا تأس) أي لا تحزن والخطاب لموسى ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراد بالفاسقين من كان في عصره من اليهود (نبأ ابني آدم) هما قاييل وهايل (إذ قربا قربانا) روى أن قاييل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان هايل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده ، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي ، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول ، فنزلت النار فأخذت كبش هايل ورفعته وتركت زرع قاييل فحسده قاييل فقتله (إنما يتقبل الله من المتقين) استدلل بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصي لا يتقبل عمله ، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك (لئن بسطت إلى يدك) الآية ، قيل معناها لئن بدأتني بالقتال لم أبدأك به ، وقيل إن بدأتني بالقتال لم أدافعك ، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر ، وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد ، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة ، وإنما هو تخيير في أهون الشرين كأنه قال إن قتلتني ، فذلك أحب إلى من أن أقتلك كما ورد في الأثر كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما قوله ياثمى وإثمك فمعناه ياثم قتل لك لو قتلتك ، وياثم قتل لك ، وإنما يحمل القاتل الإثمين ، لأنه ظالم ، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المتسaban ما قالا فهو على البادئ ، وقيل ياثمى : أي تحمل عنى سائر ذنوبي ، لأن الظالم يجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم ، وياثمك أي في قتلك لي ، وفي غير ذلك من ذنوبك (وذلك جزاء الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام هايل ، أو استئنافا من كلام الله تعالى (فبعث الله غرابا) الآية : روى أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر ، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويوارى الميت ، وقيل بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقى التراب على هايل (سوءة أخيه) أي عورته وخصت بالذكر ، لأنها أحق بالستر من سائر الجسد والضمير في أخيه عائد على ابن آدم ، ويظهر من هذه القصة أن هايل كان أول من دفن من بني آدم (قال ياويلتا) أصله ياويلتي ، ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء وكذلك ياأسنى . وياحسرتي (فأصبح من النادمين) على ما وقع فيه من قتل أخيه ، واختلف في قاييل هل كان كافرا أو عاصيا ، والصحيح أنه لم يكن في تلك المدة كافرا لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان ، وأصبح

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

هنا وفي الموضع عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح (من أجل ذلك) يتعلق بكتبنا، وقيل بالنادمين، وهو ضعيف (كتبنا على بني إسرائيل) أي فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم (بغير نفس) معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه القصاص (أو فساد في الأرض) يعني الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة (فكأنما قتل الناس جميعا) تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات إحداها القصاص، فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء. الثانية انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان، والثالثة الإثم والعذاب الأخرى قال مجاهد: وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها، والغضب واللعنة والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك، وهذا الوجه هو الأظهر، لأن القصد بالآية: تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كشواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه وإحيائها هو إنقاذها من الموت كما إنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص (ولقد جاءتهم) الضمير لبني إسرائيل. والمعنى تقييح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية: سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة نزلت في نفر من عكل وعريثة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب، والمحاربة عند مالك هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد، وقوله: يحاربون الله: تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وذلك ضعيف، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون في الأرض فسادا) بيان للحرابة وهي على درجات أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزعروا، وهو قول أشهب، وقيل يصلب حيا، ويقتل على الخشبة، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف) معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد: قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحرابة وفي السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفي من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروى عنه مطرف أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل ينفي إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلا أنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل، فالأحسن أن يأخذ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا
فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ
يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُعِيقٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ
مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

فيه بأيسر العقاب ، وقال الشافعي وغيره : هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن
قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السبيل ولم
يقتل ولم يأخذ مالا نفي ، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأوالتى تقتضى التخيير (خزى فى الدنيا) هو
العقوبة ، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة فى الدنيا لا تكون كفارة للحدارب ، بخلاف سائر
الحدود ، ويحتمل أن يكون الخزى فى الدنيا لمن عوقب فيها ، والعذاب فى الآخرة لمن لم يعاقب (إلا الذين
تابوا من قبل أن تقدرُوا عليهم) قيل هى فى المشركين وهو ضعيف ، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل
القدرة عليه وبعدها ، وقيل هى فى المحاربين من المسلمين وهو الصحيح ، وهم الذين جاءتهم العقوبات
المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم
واختلاف يطالب بما عليه من حقوق الناس فى الدماء والأموال أولا ؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة
على حد الحرابة التى سقطت عنه بالتوبة ، ووجه إسقاطها إطلاق قوله غفور رحيم (وابتغوا إليه
الوسيلة) أى ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك (ليفتدوا به) إن قيل
لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما ما فى الأرض ومثله ؟ فالجواب أنه وضع المفرد فى موضع
الاثنيين ، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك ، أو تكون الواو بمعنى مع (عذاب
مقيم) أى دائم ، وكذلك نعيم مقيم (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عموم الآية يقتضى قطع كل سارق
إلا أن الفقهاء اشتراطوا فى القطع شروطا خصصوا بها العموم ، فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة
لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له ، وكذلك من سرق مال والده أو سيده ، أو من سرق من غير حرز ،
أو سرق أقل من النصاب ، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، أو ما يساوى
أحدهما ، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء فى غير هذه الآية ، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية ، لأن
ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه ، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أو خيانة ، وإعراب السارق عند
سيبويه مبتدأ ، وخبره محذوف : كأنه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة ، والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا
أيديهما ، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط (فمن تاب من بعد ظلمه) الآية : توبة السارق هو أن يندم على
ما مضى ، ويقبل فيما يستقبل ، ويرد ما سرق إلى من يستحقه ، واختلاف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل
يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعي اظاهر الآية ؟ أولا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ
فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ
لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِّلشَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ
بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٧٩﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ

لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه (يعذب من يشاء) قدم العذاب على المغفرة لأنه قبل ذلك تقدم
السرفعة على التوبة (يأتيها الرسول) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسليمة (من الذين قالوا
آمنّا بأفواههم) هم المنافقون (ومن الذين هادوا) يحتمل أن يكون عطفًا على الذين قالوا آمنا، ثم يكون سماعون
استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود ، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا : استئنافًا مقطوعًا بآيائه ، وسماعون
راجع إليهم خاصة (سماعون لقوم آخرين) أى سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي صلى الله عليه
وسلم لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة ، فقله لم يأتوك صفة لقوم آخرين ، والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر ،
والسماعون للكذب بنو قريظة (يخرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه ، وقصدت به
وجوه القويمة ، وذلك من صفة اليهود (يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه) نزات بسبب أن يهوديا زنى يهودية
فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن حد الزانى عندهم فقالوا انجلدهما ونحمم وجوههما . فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن في التوراة الرجم ، فأنكروا ذلك ، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها ، فجعل أحدهم يده
على آية الرجم ، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع ، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهودى واليهودية فرجما ، فعنى قولهم إن أوتيتهم هذا فخذوه : إن أوتيتهم هذا الذى ذكرتم من الجلد والتحميم
فخذوه واعملوا به ، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بغيره فاحذروا (فتنته) أى ضلالته في الدنيا أو
عذابه في الآخرة (في الدنيا خزي) الذلة والمسكنة والجزية (سماعون للكذب) إن كان الأول في اليهود فسكررها
هنا تأكيداً ، وإن كان الأول في المنافقين واليهود فهذه في اليهود خاصة (أكلون للشح) أى للحرام من الرشوة
والربا وشبه ذلك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) هذا تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم
وهو أيضاً تناول الحاكم ، وقيل إنه منسوخ بقوله : وأن أحكم بينهم بما أنزل الله (وكيف يحكمونك) الآية : استبعاد
لتحكمهم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ولا يؤمنون به ، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التى يدعون الإيمان بها ،
فعنى ثم يتولون من بعد ذلك أى يتولون عن اتباع حكم الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا
عندهم ومعلوماً في قضية الرجم وغيرها (وما أولئك بالمؤمنين) يعنى أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه

بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَجْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا
بِأَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

السلام ، وهذا الإلزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبطله فدعواه الإيمان به باطلة (النبيون الذين أسلموا) هم
الأنبياء الذين بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا الله وهو صفة مدح أريد به
التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة ، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء
لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى ، لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام : أسلمت
لرب العالمين ، وقوله تعالى فقل أسلمت وجهي لله (للذين هادوا) متعلق بيحكم أى يحكم الأنبياء بالتوراة للذين
هادوا ، ويحملونهم عليها ، ويتعلق بقوله فيه هدى ونور (بما استحفظوا) أى كلفوا حفظه ، والباء هنا سببية
قاله الزمخشري ، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور في قوله يحكم بها (فلا تخشوا الناس) وما بعده خطابا لليهود ،
ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود ، لأن ذلك من أفعالهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس نزلت الثلاثة في اليهود : الكافرون ، والظالمون ، والفاسقون ، وقد روى في
هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال جماعة هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين
وغيرهم ، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقال الشافعي : الكافرون
في المسلمين ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصارى (وكتبنا عليهم فيها) كتبنا بمعنى الكتابة في الألواح ،
أوبمعنى الفرض والإلزام ، والضمير في عليهم لبني إسرائيل ، وفي قوله في التوراة (أن النفس بالنفس) أى تقتل
النفس إذا قتلت نفسا ، وهذا إخبار عما في التوراة وهو حكم في شريعتنا بإجماع ، إلا أن هذا اللفظ عام ، وقد خصص
العلماء منه أشياء ، فقال مالك : لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد في ذلك ولا يقتل حر بعبد ، لقوله الحر بالحر
والعبد بالعبد ، وقد تقدم الكلام على ذلك في البقرة (والعين بالعين) وما بعده حكم القصاص في الأعضاء ، والقراءة
بنصب العين وما بعده عطف على النفس ، وقرئ بالرفع ولها ثلاثة أوجه : أحدها العطف على موضع النفس
لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثاني العطف على الضمير الذى في الخبر وهو بالنفس ، والثالث أن يكون
مستأنفا مرفوعا بالابتداء (والجروح قصاص) بالنصب عطف على المنصوبات قبله ، وبالرفع على الأوجه الثلاثة
التي في رفع العين ، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص في الجراح التي لا يخاف على النفس منها (فمن تصدق به
فهو كفارة له) فيه تأويلان : أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه ، فذلك كفارة له
يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه ، والثاني من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجراح بعفو الله عنه
في ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه ، فالضمير في له على التأويل الأول يعود على من التي هي كناية عن

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتِيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

المقتول أو المجرور ، أو الولي ، وعلى الثاني يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق
الكلام يقتضيه ، والأول أرجح لعود الضمير على المذكور ، وهو من ، ومعناها واحد على التأويلين ، والصدقة
بمعنى العفو على التأويلين ، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا ، وترغيب في العفو ، والتأويل الثاني :
بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفى عنه (مصدقاً لما بين يديه) قد تقدم معنى مصدق في البقرة ،
ولما بين يديه : يعنى التوراة ، لأنها قبله ، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل ، لأنها قبله ، ومصدقاً : عطف على
موضع قوله فيه هدى ونور ، لأنه في موضع الحال (ومهيماً) ابن عباس شاهداً ، وقيل مؤتمناً (عما جاءك من
الحق) تضمن الكلام معنى لا تنصرف أولاً تنحرف ، ولذلك تعدى بعن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)
ابن عباس سيلاً وسنة ، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الأمم ، والمعنى أن الله جعل لكل
أمة شريعة يتبعونها ، وقد استدلل بها من قال إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وذلك في الأحكام والفروع ،
وأما الاعتقاد ، فالدين فيها واحد لجميع العالم ، وهو الإيمان بالله ، وتوحيده وتصديق رسله ، والإيمان بالدار
الآخرة (فاستبقوا الخيرات) استدلل به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وهذا متفق عليه
في العبادات كلها ، إلا الصلاة ففيها خلاف ، فذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل ، وعكس
أبو حنيفة ، وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل ، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل (وأن أحكم بينهم) عطف
على الكتاب في قوله : وأنزلنا إليك الكتاب ، أو على الحق في قوله : بالحق ، وقال قوم إن هذا وقوله قبله
فأحكم بينهم ناسخ لقوله : فأحكم بينهم أو أعرض عنهم : أى ناسخ للتخيير الذى فى الآية ، وقيل إنه ناسخ
للحكم بالتوراة ، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود ، طابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم
فأبى من ذلك ، ونزلت الآية تقضى أن يحكم بينهم (أحكم الجاهلية يبغون) توبيخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبار عنهم ،
وبالتاء خطأ بالهم (لقوم يوقنون) قال الزمخشري اللام للبيان : أى هذا الخطاب لقوم يوقنون ، فإنهم الذين يتبين لهم أنه
لا أحسن من الله حكماً (يأياهم الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سبها موالاته بن أبى بن سلول يهود

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِرُوا خَاسِرِينَ * يَأْسِهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

بنى قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذى كان بينه وبينهم ، ولفظها عام ، وحكمها باق ، ولا يدخل فيه معاملتهم فى البيع والشراء وشبهه (فإنه منهم) تغليظ فى الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم فى اعتقادهم وأحبهم فهو منهم فى المقت عند الله ، واستحقاق العقوبة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون والمراد هنا عبدالله بن أبى ابن سلول ومن كان معه (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) كان عبد الله بن أبى يوالى اليهود ويستكثرهم ، ويقول لى رجل أخشى الدوائر (فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده) الفتح هنا هو ظهور النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، والأمر من عنده : هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق ، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) الضمير فى فيصبحوا المنافقين والذى أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين (يقول الذين آمنوا) قرئ يقل بغير واو استئناف وإخبار ، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة ، وبالواو والنصب عطفا على أن يأتى الله ، أو عطفا على فيصبحوا (هؤلاء الذين أقسموا) الإشارة إلى المنافقين ، لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين ، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد (حبطت أعمالهم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله ، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر (من يرتد منكم عن دينه) خطاب على وجه التحذير والوعيد ، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، ثم وقع فارتد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيئة الكذاب ، وبنو مدلج قوم الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، وقتل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد ، ثم كثر المرتدون ، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت القبائل التى ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكنسدة وبنو بكر بن وائل ، وبعض بنى تميم ، ثم ارتدت غسان فى زمان عمر بن الخطاب ، وهم جيلة بن الأيهم الذى تنصر من أجل اللطمة (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، وقال هم قوم هذا يعنى أباموسى الأشعرى ، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن ، لأن الأشعريين من أهل اليمن ، وقيل المراد أبى بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوى ذلك ما ظهر من أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الجد فى قتالهم ، والعزم عليه حين خالفه فى ذلك بعض الناس ، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ، ويقوى ذلك أيضا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * يَسْأَلُ الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَسْأَلُ الْكِتَابَ هَلْ تَنقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً

أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألا ترى قوله : أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكان أبو بكر ضعيفا في نفسه قويا في الله ، وكذلك قوله : ولا يخافون لومة لائم : إشارة إلى من خالف أبا بكر ولامه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه (أدلة على المؤمنين) كنهه له أشد على الكفار رحما بينهم ، وإنما تعدى أدلة بعلى ، لأنه تضمن معنى العطف والحنو ، فإن قيل : أين الراجع من الجزاء إلى الشرط ؟ فالجواب : أنه محذوف تقديره من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو يقوم بقاتلونهم (إنما وليكم الله) ذكر الولي بلفظ المفرد لإفراد الله تعالى بهما ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قال إنما أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل وتبع (وهم راكعون) قيل نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه سأل سائل وهو راكع في الصلاة ، فأعطاه خاتمه ، وقيل هي عامة ، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها ، فالواو على القول الأول والحوال ، وعلى الثاني للعطف (فإن حزب الله) هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر : معناه فإنهم هم الغالبون (والكفار) بالنصب عطف على الذين اتخذوا ، وقرئ بالحذف عطف على الذين أوتوا الكتاب ، ويعضده قراءة ابن مسعود : ومن الكفار ، ويراد بهم المشركون من العرب (وإذا ناديتهم إلى الصلاة) الآية : روى أن رجلا من النصاري كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال : حرق الله الكاذب ، فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله ، واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين (هل تنقمون منا) هل تعيبون علينا وتسكرون منا إلا إيماننا بالله ، ويجمع كتبه ورسله ، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب ، ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم هـ بهن فلول من قراع الكتاب

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسل الذي يؤمن بهم فتلا : آمنا بالله وما أنزل إلينا إلى آخر الآية ، فلما ذكر عيسى قالوا لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به (وأن أكثركم فاسقون) قيل إنه معطوف على آمنا ، وقيل على ما أنزل ، وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلا لقلّة إناصافكم ولأن أكثركم فاسقون ويحتمل أن يكون وأن أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقمكم معلوم ، أو ثابت (قل هل أنبئكم بشر من

عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا
وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلٌ مِّنْ أَمْنًا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ه وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ه لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ
كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ه وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

ذلك لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم ، فالخطاب في أنبئكم لليهود ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين (مشوبة عند الله) هي من الثواب ورضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله : فبشرهم بعذاب أليم (من لعنه الله) يعنى اليهود ومن في موضع رفع بخبر مبتدأ مضمرة تقديره هو من لعنه الله ، أوفى موضع خفض على البدل من بشر ، ولا بد في الكلام من حذف مضاف تقديره بشر من أهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله (وجعل منهم القردة والخنازير) مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت ، ومسح قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى ابن مريم (وعبد الطَّاغُوتِ) القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله ، وقرئ بضم الباء وخفض الطَّاغُوتِ على أن يكون عبدا سماعلى وجه المبالغة كيقتض أضيف إلى الطَّاغُوتِ ، وقرئ وعابد وعباد ، وهو في هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير (شر مكانا) أى منزلة ونسب الشر للكان وهو في الحقيقة لأهله ، وذلك ، مبالغة في الذم (وإذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت في منافقين من اليهود (وقد دخلوا بالكفر) تقديره ملتبس بالكفر ، والمعنى دخلوا كفارا وخرجوا كفارا ، ودخلت قد على دخلوا وخرجوا : تقريرا للماضى من الحال أى ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام (بالإثم) الكذب وسائر المعاصى (والعدوان) الظلم (السحت) الحرام (لولا ينهاهم) عرض وتحضيض وتقريع (ليس) اللام في الموضعين للقسم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) غل اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه : ولا تجعل يدك مغلولة : أى لا تبخل كل البخل ، ولا تبسطها كل البسط : أى لا تجدد كل الجود ، وروى أن اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة ، وكان الذى قالها فنحاص ، ونسبت إلى جملة اليهود ، لأنهم رضوا بقوله (غلَّتْ أَيْدِيهِمْ) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا ، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة ، فإن كان في الدنيا ، فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم في الأسر ، وإن كان في الآخرة ، فهو جعل الأغلال في جهنم (بل يدها مبسوطتان) عبارة عن إنعامه وجوده ، وإنما ثبتت اليدين هنا وأفردت في قول اليهود : يد الله مغلولة ، ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود : كقول العرب فلان يعطى بكلمتي يديه إذا كان عظيم السخاء (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها

الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ * يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۖ قُلْ يَيَّاهُ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا

الله) لإيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب ، وإطفائها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم ، ويحتمل أن يراد
بذلك أسلافهم ، أو يراد من كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ، ومن يأت بعدهم ، فيكون
على هذا إخبارا بغيب ، وبشارة للمسلمين (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) الآية : يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون
للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فيكون على هذا ترغيبا لهم في الإيمان والتقوى (ولو أنهم أقاموا
التوراة والإنجيل) لإقامتها بالعلم والعمل ؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول التصارى في لفظ أهل الكتاب
(لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) قيل من فوقهم عبارة عن المطر ، ومن تحت أرجلهم : عبارة عن النبات
والزرع ، وقيل ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه (أمة مقتصدة) أى معتدلة ، ويراد به من أسلم منهم :
كعبدالله بن سلام ، وقيل من لم يعاد الأنبياء المتقدمين (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أمر بتبليغ
جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد
(وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان :
أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لا يعتد به ، فعنى إن لم تفعل :
إن لم تستوف التبليغ على الكمال ، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتبها ، ووضع
السبب موضع المسبب (والله يعصمك من الناس) وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية ، قال يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني
وترك الاحتراس (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية : أى لستم على دين يعتد به يسمى شيئا (حتى تقيموا
التوراة والإنجيل) ومن لإقامتها الإيمان بحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقوله (وما أنزل إليكم)
قال ابن عباس : يعنى القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمه وغيرهم
من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا تؤمن بك
ولا نتبعك (إن الذين آمنوا والذين هادوا) تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة (والصابغون) قراءة السبعة بالواو
وهى مشكلة حتى قالت عائشة : هى من لحن كتاب المصحف ، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف

إِلَيْهِمْ رَسُولًا كَلَّمَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ
فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ
وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * أَفَلَا
يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَفِي يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * لُعِنَ الَّذِينَ

تقديره والصائبون كذلك وهو مقدم في نية التأخير ، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم
إن ، وقيل إن هنا بمعنى نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى بلاه
واختبار ، وقرئ تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية (فعموا
وصموا) عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان (ثم تاب الله عليهم) فينبى إن هذه التوبة رد ملكهم
ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدا ، وقيل التوبة
بعث عيسى عليه السلام ، وقيل بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كثير منهم) بدل من الضمير أوفاعل
على لغة أكلوني البراغيث والبدل أرجح وأنصح (وقال المسيح) الآية : رد على النصارى ، وتكذيب لهم
(وما للظالمين من أنصار) يحتمل أن يكون من كلام المسيح ، أو من كلام الله (ما المسيح ابن مريم إلا رسول)
الآية : رد على من جعله إله (وأمه صديقة) أى بليغة الصدق فى نفسها ، أو من التصديق ، ووصفها بهذه الصفة
دون النبوة يدفع قول من قال إنها نية (كانا يأكلان الطعام) استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء
الذى لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر ، ومن كان كذلك فليس بإله ، لأن الإله منزّه عن صفة الحدوث ، وعن
كل ما يلحق البشر ، وقيل إن قوله يأكلان الطعام : عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ، ولا ضرورة تدعو
إلى إخراج اللفظ عن ظاهره ، لأن الحجة قائمة بالوجهين (ثم انظر) دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد
التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات (قل أتعبدون من دون الله) الآية : إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه
وهما لا يملكان ضرا ولا نفعا (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) خطاب للنصارى والغلو الإفراط
وسبب ذلك كفر النصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم) قيل هم أئمتهم فى دين النصرانية كانوا على ضلال فى عيسى
وأضلوا كثيرا من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هم اليهود ، والأول أرجح

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ * وَلَئِنْ كُنَّا مِنْهُمْ فَنَقُصُّونَ * لَنَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا * وَلَنَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي * ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا

لوجهين : أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى ولا الضالين ، والآخر أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق (على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى فى الزبور والإنجيل (لا يتناهون) أى لا ينهون بعضهم بعضا (عن منكر) فإن قيل : لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهى لا يكون بعد الفعل ؟ فالجواب : أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر إن أرادوا فعله (أرى كثيرا منهم) إن أراد أسلافهم ، فالرواية بالقلب ، وإن أراد المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الأظهر ، فهى رؤية عين (والنبي وما أنزل إليه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما اتخذوهم أولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار أولياء (لنجدن أشد الناس عداوة) الآية : إخبار عن شدة عداوة اليهود وعدة الأوثان للمسلمين (ولنجدن أقربهم مودة) الآية : إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين ، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر فكل يهودى شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم ، والقسيس العالم والراهب العابد (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآية : هى فى النجاشى ، وفى الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبعون رجلا ، فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشى حين قرأ عليه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه سورة مريم ، وقال السهيلي : نزلت فى وفد بجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلا ، فلما سمعوا القرآن بكوا (بما عرفوا من الحق) من الأولى سببية والثانية بيان للجنس (آمنا) أى بالقرآن من عند الله (مع الشاهدين) أى مع المسلمين ، وكذلك مع القوم الصالحين (وما لنا لا نؤمن بالله) توقيف لأنفسهم ، أو محاجة لغيرهم (ونطمع) قال الزمخشري الواو للحال ، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) سببها أن قوما من

اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسَبِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّرتَهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

الصحابه غاب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ، وهم بعضهم أن يختصوا ، أو يسيحوا في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما أنا فأقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآتي النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني (ولا تعتدوا) أي لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم (وكلوا) أي تمتعوا بالمآكل الحلال ، وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل بالذكر ، لأنه أعظم حاجات الإنسان (باللغو) تقدم في البقرة (بما عقدتم الإيمان) أي بما قصدتم عقده بالنية ، وقرئ عقدتم بالتخفيف ، وعقدتم بالآلف (إطعام عشرة مساكين) اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجوز في الكفارة إطعام غني ، فإن أطعم جهلا لم يجز به على المشهور من المذهب ، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين ، وليس في الآية ما يدل على ذلك (من أوسط ما تطعمون أهليكم) اختلاف في هذا الوسط هل هو في القدر أو في الصنف ، واللفظ يحتمل الوجهين ، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مائة بمكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبغيرها وسط من الشعب ، وقال الشافعي وابن القاسم : يجوز المدة في كل مكان وقال أبو حنيفة إن غداهم وعشاءهم أجزاء ، وأما الصنف فاختلاف هل يطعم من عيش نفسه ، أو من عيش أهل بلده ؟ فعني الآية على التأويل الثاني من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة ، وعلى الأول يختص الخطاب بالكافر (أو كسوتهم) قال كثير من العلماء يجوز ثوب واحد لمسكين ، لأنه يقال فيه كسوة ، وقال مالك إنما يجوز ما تصح به الصلاة ، فالرجل ثوب واحد ، والمرأة قميص وخمار (أو تحرير رقبة) اشتراط مالك فيه أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك في كفارة القتل ، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد ، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة ، لإطلاق اللفظ هنا ، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب وليس في اللفظ ما يدل على ذلك (فمن لم يجد) أي من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام ، فالخصال الثلاث على التخيير ، والصيام مرتب بعدها لمن عدها ، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) معناه إذا حلفتم وخشيتهم أو أردتم الحنث ، واختلف هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا (واحفظوا أيمانكم) أي احفظوها فبروا فيها ، ولا تخشوا ، وقيل : احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم ، وقيل احفظوها أي لا تنسوها لها (والخمر والميسر) ذكر في البقرة (والأنصاب والأزلام) مذكوران في أول هذه السورة (رجس) هو في اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال ابن عباس معنى رجس سخط (فاجتنبوه) نص في التحريم والضمير يعود على الرجس الذي هو خبر عن جميع الأشياء

وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ

المذكورة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) تقبيح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية (فهل أنتم منتهون) توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت: انتهينا انتهينا (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح (فيما طعموا) فيها تأويلان: أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها، فنزلت الآية معللة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل (إذا ما تقوا وآمنوا) الآية قيل كرر التقوى مبالغة، وقيل الرتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به حذرا بما به البأس، وقيل الأولى للزمان الماضي والثانية للحال، والثالثة للمستقبل (وأحسنوا) يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان (ليلوكم الله بشيء من الصيد) أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت وإنما قلله في قوله: بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها (تناله أيديكم ورماحكم) قال مجاهد: الذي تناله الأيدي الفراع والبيض وما لا يستطيع أن يفر والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص (ليعلم الله) أي يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود (فمن اعتدى) أي بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا في الآخرة (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) معنى حرم داخلين في الأحرام وفي الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور. وأدخل مالك في الكلب العقور كل ما يؤذى الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله «وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما» (ومن قتله منكم متعمدا) مفهوم الآية يقتضي أن جزاء

مَثَلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٍ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ

الصيد على المتعمد لا على الناسي ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وقال جمهور الفقهاء المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا في قوله متعمدا على ثلاثة أقوال : أحدها أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد في قوله : ومن عاد فينتقم الله منه ، إذ لا وعيد على الناسي ، والثاني أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد ، والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة (جزاء مثل ما قتل من النعم) المعنى فعليه جزاء ، وقرئ بإضافة جزاء إلى مثل ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به ، وقيل مثل زائدة ، كقولك أنا أكرم مثلك أي أكرمك ، وقرئ بجزاء بالتنوين ، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة ، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصة ، ومعنى الآية عندما لك والشافعي : أن من قتل صيدا وهو محرم أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر ، ففي النعامة بدنة ، وفي حمار الوحش بقرة ، وفي الغزالة شاة ، فالمثلية على هذا هي في الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام ، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة يقوم به الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه (يحكم به ذوا عدل) هذه الآية تقتضي أن التحكيم شرط في إخراج الجزاء ، ولا خلاف في ذلك ، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه ، فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة ، فإنه لا يحتاج إلى حكمين ، قاله مالك ، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة ، وفيما لم يحكموا فيه ، لعموم الآية ، وقال الشافعي : يكفي في ذلك بما حكمت به الصحابة (هديا) يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدي ، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه ، وقال الشافعي يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن (بالغ الكعبة) لم يرد الكعبة بعينها ، وإنما أراد الحرم ، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدى من سوفه من الحل إلى الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة إن اشتراه في الحرم أجزأه (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) عُدَّتْ تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذي يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب ، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام ، فرأى العلماء أن يقتدر الجزاء من النعم . لأنهم اختلفوا في كيفية التقدير ، فقال مالك : يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم ، ثم تقوم الدراهم بالطعام ، فينظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حي ، وقال بعض أصحاب مالك يقدر الصيد بالطعام أي يقال : كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعاما ، وقال الشافعي لا يقدر الصيد نفسه ، وإنما يقدر مثله ، وهو الجزاء الواجب على القاتل له (أو عدل ذلك صياما) تحتل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب إلى الصيد ، واختلف في تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مد يوما ، وقال أبو حنيفة مكان كل مدين يوم ، وقيل مكان كل صاع يوما ، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام ، إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله من قتله ، وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين ، وإنما لم يذكر الله في الصيام والطعام استثناء بذكره في الجزاء (ليذوق وبال أمره) الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا مالزمه من

الْبَحْرَ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *
 جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لْتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
 مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۚ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
 كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ۚ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ
 تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزِلُ الْقُرْءَانَ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۚ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

التكفير (عفا الله عما سلف) أى عما فعلتم فى الجاهلية من قتل الصيد فى الحرم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهى عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه الآخرة (أحل لكم صيد البحر) أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم ، والصيد هنا المصيد ، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحاً أو عذبا ، كالبرك ونحوها ، وطعامه هو ما يطفو على الماء وما قذف به البحر لأن ذلك طعام وليس بصيد ، قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وقال ابن عباس : طعامه ما ملح منه وبقي (متاعا لكم وللسيارة) الخطاب بكم للحاضرين فى البحر ، والسيارة المسافرون أى هو متاع ما تدومون به (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) الصيد هنا يحتمل أن يراد به المصدر أو الشيء المصيد أو كلاهما ، فنشأ من هذا أن ما صاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه ، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره ، فإذا اصطاد حلال ، فقبل يجوز للمحرم أكله ، وقيل لا يجوز إن اصطاده لمحرم ، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك ، وإن اصطاد حرام لمن يجوز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى أمرا يقوم للناس بالآمن والمنافع ، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عام ، وقيل أراد العرب خاصة ، لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة (والشهر الحرام) يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة ، لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال (والهدى) يريد أنه أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه فى عبادة لم يأت لحرب (والقلائد) كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر ، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم ، ليعلم أنه كان فى عبادة ، فلا يتعرض له أحد بشيء ، فالقلائد هنا هو ما تقلده المحرم من الشجر ، وقيل أراد قلائد الهدى ، قال سعيد ابن جبير : جعل الله هذه الأمور للناس فى الجاهلية وشد فى الإسلام (ذلك لتعلموا) الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس ، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل الأمور (لا يستوى الخبيث والطيب) لفظ عام فى جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك (لا تسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤكم) قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة من أبى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة ، وقال آخر : أين أبى ، قال فى النار ، وقيل سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله أفى كل عام ؟ فسكت ، فأعادوا ، قال لا ، ولوقلت نعم لوجبت ، فعلى الأول تسؤكم بالإخبار بما لا يعجبكم ، وعلى الثانى تسؤكم بتكليف ما يشق عليكم ، ويقوى هذا قوله عفا الله عنها : أى سكت عن ذكرها

مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ۚ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۚ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّن

ولم يطالبكم بها كقولہ صلی اللہ علیہ وسلم عفا اللہ عن الزکاة فی الخیل ، وقیل إن معنی عفا اللہ عنها : عفا عنکم فیما تقدم من سؤالکم فلا تعودوا إلیہ (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم) فیہ معنی الوعد علی السؤال : كأنہ قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أبدی لکم ما یسوءکم ، والمراد بحین ينزل القرآن : زمان الوحی (قد سألتهم من قبلکم) الضمیر فی سألہا راجع إلی المسئلة التي دل علیہا لا تسألوا ، وهی مصدر ، ولذلك لم یتعدی بعن كما تعدی قوله إن تسألوا عنها ، وذلك أن بنی اسرائیل كانوا یتفتون أنبیاءہم عن أشياء ، فإذا أمروا بہا ترکوها فہاسکوا ، فالكفر هنا عبارة عن ترک ما أمروا بہ (ما جعل اللہ من بحیرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت فی الجاہلیة هل تعظم لتعظیم السکبة والہدی أخبرہم اللہ أنہ لم یجعل شیئا من ذلك لعبادہ : أى لم یشرعہم ، وإنما الکفار جعلوا ذلك ، فأما البحیرة : فہی فعیلة بمعنی مفعولة من بحر إذا شق ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانہا وترکوها ترعى ولا ینتفع بہا وأما السائبة فكان الرجل یقول إذا قدمت من سفری أو برئت من مرضی فناقى سائبة ، وجعلہا کالبحیرة فی عدم الانتفاع بہا ، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذکرا وأنثی فی بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم ینبجوها ، وأما الحامی فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمی ظہرہ فلا یرکب ولا یحمل علیہ شیء (ولکن الذين کفروا یفترون علی اللہ الکذب) أى یکذبون علیہ بتحریمہم ما لم یحرم اللہ (وأكثرهم لا یعقلون) الذين یفترون علی اللہ الکذب هم الذين اخترعوا تحریم تلك الاشیاء ، والذين لا یعقلون هم أتباعہم المقلدون لهم (قالوا حسبنا ما وجدنا علیہ آباءنا) أى یکفینا دین آبائنا (أو لو کان آباؤہم) قال الزمخشری الواو واو الحال ، دخلت علیہا همزة الإنکار ، كأنہ قیل أحسبہم هذا وآباؤہم لا یعقلون ، قال ابن عطیة ألف التوقیف دخلت علی واو العطف ، وقول الزمخشری أحسن فی المعنی (علیکم أنفسکم لا یضرکم من ضل إذا اهتديتم) قیل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنہی عن المنکر ، وقیل إنها خطاب للمسلمین من ذریة الذين حرّموا البحیرة وأخواتہا ، كأنہ یقول : لا یضرکم ضلال أسلافکم إذا اهتديتم ، والقول الصحیح فیہا ماورد عن أبی ثعلبة الخثنی أنہ قال : سألت عنہا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، فقال : مروا بالمعروف وانہوا عن المنکر ، فإذا رأیتم شیئا مطاعا وهوی متبعا ، ودنیا مؤثرة ، وإعجاب کل ذی رأى برأیہ ، فعلیک بخویصة نفسك وذرعوا مہم ، ومثل ذلك قول عبد اللہ بن مسعود رضی اللہ عنہ : لیس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منکم ، فإذا رد علیکم : فعلیکم أنفسکم (شهادة بینکم

غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّنَا إِذَا لَمِنَ الْآمِنِينَ ۖ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا

إذا حضر أحدكم الموت (حين الوصية اثنان) قال مكي هذه الآية أشكل آية في القرآن لإعرابها ، ومعنى ، وحكما ، ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل ، وسيبها أن رجلين خرجا إلى الشام ، وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فمرض في الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل ماله ، وجعله في متاعه وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ، ودفعوا رحله إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما فقالا لا ندرى هذا الذي قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقي الأمر مدة ، ثم عثر على إمام عظيم من فضة ، فقيل لمن وجد عنده من أين لك هذا ، فقال اشتريته من فلان وفلان ، يعني الرجلين ، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا حلفا واستحفا ، فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحد في السفر ، فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا ، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما ، وشهادة بينكم مرفوع بالاقتداء وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان إذا حضر أي قارب الحضور ، والعامل في إذا المصدر الذي هو شهادة ، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا ، ويجوز أن تكون شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، فإن المعنى : إذا حضر أحدكم الموت ، فينبغي أن يشهد حين الوصية ظرف العامل فيه حضر ، ويكون بدلا من إذا (ذوا عدل) صفة للشاهدين منكم (أو آخران من غيركم) قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم ، ومن غيركم من غير العشيرة والقربة وقال الجمهور منكم أي من المسلمين ، ومن غيركم من الكفار ، إذ الم يوجد مسلم ، ثم اختلف على هذا هل هي منسوخة بقوله وأشهدوا ذوي عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفار أصلا ، وهو قول مالك والشافعي والجمهور وأهي محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على الوجه في السفر ، وهو قول ابن عباس (إن أنتم ضربتم في الأرض) أي سافرتهم ، وجواب إن محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، والمعنى إن ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت ، فشهادة بينكم شهادة اثنين (تحبسونهما) قال أبو علي الفارسي . هو صفة لآخران ، واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله : إن أنتم إلى قوله الموت ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة ، إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض ، وحلول الموت في السفر ، وقال الزمخشري تحبسونهما استئناف كلام (من بعد الصلاة) قال الجمهور هي صلاة العصر ، فاللام للعهد ، لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان ، وقال من حلف على سلعة بعد صلاة العصر ، وكان التحليف بعدها معروفا عندهم ، وقال ابن عباس هي صلاة الكافرين في دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) أي يحلفان ، ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ ، وقد استحلفهما علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري (إن ارتبتم) أي شككتكم في صدقهما أو أمانتهما ، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسم عليه ، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان (لا تشتري به ثمنا) هذا هو المقسوم عليه ، والضمير في به للقسم ، وفي كان للمقسم له : أي لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من

أَسْتَحَقُّ إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِيَّانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ
مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِنَا أَوْ يَخَافُوا
أَنْ تَرُدَّ آيَمُنَ بَعْدَ آيَمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ
مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۖ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

الدنيا : أى لا يخالف بالله كاذبين لأجل المال ، ولو كان من نقسم له قريبالنا ، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى
أقاربهم (ولا نكتهم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وأداها ، وإضافتها إلى الله تعظيما لها (فإن
عثر على أنهما استحقا إثما) أى إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ما أوجب لإثما ، والإثم الكذب والخيانة
واستحقاقه الأهلية للوصف به (فأخران يقومان مقامهما) أى اثنان من أولياء الميت ، يقومان مقام الشاهدين
فى اليمين (من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الإثم أو المال ، ومعناه من الذين جنا عليهم وهم
أولياء الميت (الأوليان) تثنية أولى بمعنى أحق : أى الأحق بالمشاهدة لمعرفةهما ، والأحقان بالمال : لقرابتهما ،
وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان ، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان ، أو
بدل من الضمير فى يقومان ، ومنع الفارسي أن يسند استحقاق إلى الأوليان ، وأجازه ابن عطية ، وأما على قراءة
استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل ، فالأوليان فاعل باستحق ، ومعنى استحق على هذا أخذ المال
وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهم : أى الأوليان بالتحليف والتعنيف
والفضيحة ، وقرئ الأولين جمع أول ، وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم ، أو منصوبا بإضمار
فعل ، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب فى استحقاق المال وفى صدق الشهادة (فيقسمان بالله لشهادتنا
أحق من شهادتهما) أى يخالف هذان الآخران أن شهادتهما أحق : أى أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت
خيانتهم (إنا إذا لمنا الظالمين) أى إن اعتدينا ، فإنما من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأولين إنا إذا لمنا الآمين
(ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الإشارة بذلك إلى الحكم الذى وقع فى هذه القضية ومعنى أدنى : أقرب ، وعلى
وجهها أى كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا (أن ترد آيمان بعد آيمانهم) أى يخافوا أن يخلف غيرهم بعدهم
فيفتضحوا (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة ، وانتصب الظرف بفعل مضمر أى ماذا أجابكم به الأمم
من إيمان وكفر وطاعة ومعصية ، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم ، وإقامة الحجة عليهم
وانتصب ماذا أجبت انتصاب مصدره ، ولو أريد الجواب ، ل قيل بماذا أجبتهم (قالوا لا علم لنا) إنا قالوا ذلك
تأديبا مع الله فوكلوا العلم إليه قال ابن عباس : المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وقيل معناه علمنا ساقط فى جنب علمك
ويقوى ذلك قوله إنك أنت علام الغيوب ، لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر ، وقيل ذهبوا عن
الجواب لهول ذلك اليوم ، وهذا بعيد ، لأن الأنبياء فى ذلك اليوم آمنون ، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفار
(إذ قال الله) يحتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع ، ويسكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل

وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذَنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذَنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذَنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَأْذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *

في إذ مضمر او يحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى يقول ، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران (فتنفخ فيها) الضمير المؤنث عائد على الكاف ، لأنها صفة للهية ، وكذلك الضمير في تكون ، وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران فينفخ فيه عائد على الكاف أيضا ، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله كهية فتقديره في التأنيث صورة ، وفي التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك ، وقيل المؤنث يعود على الهية والمذكر يعود على الطير ، والطين ، وهو بعيد في المعنى (يأذني) كرهه مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية إلى عيسى (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله ، فرفعه الله إليه (وإذ أوحيت) معطوف على ما قبله ، فهو من جملة نعم الله على عيسى والوحى هنا يحتمل أن يكون وحى إلهام أو وحى كلام (واشهد) يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام (إذ قال الخواريون يا عيسى ابن مريم) نداؤهم له باسمه : دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه ، وإنما يقولون يا رسول الله يانبي الله ، وقولهم ابن مريم : دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبه إلى أم دون والد ، بخلاف ما اعتقده النصارى (هل يستطيع ربك) ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذه الزمخشري ، وقال ما وصفهم الله بالإيمان ، ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنا وقال ابن عطية وغيره : ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا ، وهل يقع منه إجابة إليه ، وهذا أرجح ، لأن الله أتى على الخواريين في مواضع من كتابه ، مع أن في اللفظ بشاعة تذكر ، وقرئ يستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب أى هل تستطيع سؤال ربك ، وهذه القراءة لا تقتضى أنهم شكوا ، وبها قرأت عائشة رضي الله عنها ، وقالت كان الخواريون أعرف بربهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء ، ومفعول بالمصدر ، وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء ، والمائدة هي التي عليها طعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فقوله لهم اتقوا الله : يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة ، واقتراح الآيات ، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشري ، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك ، وقوله إن كنتم مؤمنين : هو على ظاهره على مذهب الزمخشري ، وأما على مذهب ابن عطية وغيره ، فهو تقرير لهم

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنْكُم فإِنِّي آعِذُ بِهِ عَذَابًا لَا آعِذُ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْتُ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا ، ومعلوم أنه رجل ، وقيل إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى (قالوا نريد أن نأكل منها) أي أكلنا تشرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة البطن (وتطمئن قلوبنا) أي نعين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة ، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) ظاهره يقوى قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم ، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك (ونسكون عليها من الشاهدين) أي نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله ، وروى أنه لبس جبة شعر ورداء شعر ، وقام يصلي ويدعو ويبكي (تسكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) قيل تتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم ، وقال ابن عباس . المعنى تسكون مجتمعنا جميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لاعيد أي دور (وآية منك) أي علامة على صدق (قال الله إني منزلها عليكم) أجابهم الله إلى ما طلبوا ، ونزلت المائدة عليهم اسمك وخبز ، وقيل زيتون وتمر ورمال وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة (فمن يكفر بعد منكم فإني آعِذُ بِهِ عَذَابًا) عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته ، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير ، قال عبد الله بن عمر أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) قال ابن عباس والجمهور : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه ، ويعلمون أنهم كانوا على باطل ، وقال السدي لما رفع الله عيسى إليه قالت النصراني ما قالوا ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، وسأل الله حينئذ عن ذلك ، فقال سبحانه الآية ، فعلى هذا يكون إذ قال ماضيا في معناه كما هو في لفظه ، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) نفي يعضده دليل العقل لأن المحدث لا يكون لها (إن كنت قلته فقد علمته) اعتذار وبرامة من ذلك القول ووكل العلم إلى الله لتظهر برامته ، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة ، فقال في نفسك مقابلة لقوله في نفسي وبقية قوله تعظيما لله ، وإخبار بما قال الناس في الدنيا (أن اعبدوا) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير في

وَأَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

به (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فيما سؤل الان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباد الله ، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار ، وإنما يقتضى جوازها في حكمة الله تعالى وعزته ، و الفرق بين الجواز والوقوع ، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء ، فلا إشكال ، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة ، وكانوا حينئذ أحياء ، وكل حتى معرض للتوبة ، السؤال الثانى : ما مناسبة قوله : فإنك أنت العزيز الحكيم ، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لوقيل ، فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ والجواب من ثلاثة أوجه . الأول يظهر لى أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له ، كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق ، فإن الحكمة تقتضى التسليم له والعزة تقتضى التعظيم له ، فإن العزيز هو الذى يفعل ما يريد ، ولا يغلبه غيره ، ولا يمتنع عليه شيء أراد ، فاقضى الكلام تفويض الأمر إلى الله فى المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيمهما فعل فهو جميل لحكمته . الجواب الثانى قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون فى ذلك تعريض فى طلب المغفرة لهم فاقصر على التسليم والتفويض دون الطلب ، إذ لا تطلب المغفرة للكفار ، وهذا قريب من قولنا . الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلاء فى وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استغنافا ، وجواب إن فى قوله فإنهم عبادك ، كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) عموم فى جميع الصادقين وخصوصا فى عيسى ابن مريم فإن فى ذلك إشارة إلى صدقه فى الكلام الذى حكاه الله عنه ، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر ، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان : أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول ، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر فى يوم ، وهذا بعيد من لرواق الكلام ، والآخر أن يكون هذا مبتدأ ، ويوم فى موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم ، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قرأة نافع ، لأنه أضيف إلى معرب ، قاله الفارسي والزمخشري

(تم الجزء الأول)

(ويليه الجزء الثانى : وأوله سورة الأنعام)